ثامنًا: أساليب دعوة المسلمين للنصارى

obeikandl.com

obeikandl.com

ثامنًا: أساليب دعوة المسلمين للنصارى

في عصر الحروب الصليبية اهتم الدعاة المسلمون في جهودهم الدعوية المباركة الموجهة إلى النصارى بجانب الأساليب اهتماماً كبيراً حيث ظهر ذلك جلياً من خلال تنوع هذه الأساليب وتعدد أشكالها واختلاف عرضها [1].

١ – الأساليب العقلية:

غلب على العلماء المسلمين في عصر الحروب الصليبية استخدام الأساليب العقلية من سبْر وتقسيم وأقيسة ومحاكمات عقلية وغيرها ومن أبرز الأساليب العقلية التي استخدمها العلماء المسلمون في مناقشاتهم وردودهم ومناظراتهم مع النصارى:

أ – أسلوب السبر والتقسيم:

والسبر والتقسيم في الاصطلاح هو أن يحصر المعترض جميع الأوصاف المناسبة للحكم في الأصل ثم يبين إلغاءها وعدم صلاحيتها للتعليل [2]، وقد كان هذا الأسلوب العقلي من أبرز الأساليب وأكثرها استخداما من قِبل العلماء المسلمين في نقاشاتهم

(١) المصدر نفسه (٤٩٢/١).
(٢) شرح مختصر الروضة (٤٩٢/٣).

وحواراتهم ومناظراتهم مع النصارى في عصر الحروب الصليبية، وذلك لما يتميز به من شمولية في تتبع الاحتمالات والاعتراضات التي يمكن أن يتعلق بها النصارى وإبطالها وذلك في القضايا التي كانت مدار النقاش والبحث بين الفريقين ومن الأمثلة على استخدام هذا الأسلوب مع النصارى إبطال الخزرجي في مناقشته لقسيس طليطلة حجة هذا القسيس على تجسيد الله في شخص المسيح، حيث ذكر هذا القسيس أن علة تجسد الله في شخص المسيح هي من أجل أن ينزل إلى الأرض ويكلم الخلائق بدون واسطة حتى تنقطع حجتهم [١]، فأبطل الخزرجي هذه الحجة من خلال السبر والتقسيم بأن حصر الاحتمالات التي يمكن أن يكون من أجلها نزل الإله إلى الأرض متجسداً في شخص المسيح وبين عدم صحتها، الأمر يهدم أساس هذه العقيدة التي يدين بها النصارى، فلا يخلو سبب هذا التجسد من أن الله تعالى عما يقولون علواً كبيراً لم يحط علمه بما فعله أنبياؤه فهبط ليطلع على فعلهم وهذا محال، أو كان الأنبياء متهمين بمخالفة أمره سبحانه عمداً فلم يؤدوا أمانة التبليغ وهذا محال، أو أنهم عجزوا عن أداء ما حُمِّلوا وضعفوا عن إظهار ما يؤكد صدقهم فنزل مؤيداً لهم وهذا محال[٢]، فإذا انتفت هذه الاحتمالات التي يمكن أن تكون علة للتجسد انتفى معها حدوث التجسد الذي يدعيه النصارى ومن ثم بطلت هذه العقيدة التي يدينون بها ولم يبق لهم مستند فيها إلا الكذب بعد تهافت حججهم عليها [٣].

(١) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ٤٩٦.
(٢) دعوة المسلمين للنصارى (٤٩٦/٢).
(٣) المصدر نفسه (٤٩٦/٢).

وفي مفاوضات صلاح الدين مع ريتشارد قلب الأسد عن طريق أخيه الملك العادل بيّن الملك الإنجليزي لرسول الملك العادل أنه ما جاء به بجحافله من بلاده إلا ثلاثة أمور إذا تحققت له رجع وترك بلاد المسلمين، وهذه الأمور هي القدس والصليب والبلاد التي زحف عليها المسلمون بعد معركة حطين ولما عُرض ذلك على صلاح الدين كان رده على دعاوي الملك الإنجليزي- وهو رحمه الله يقود الجيوش الإسلامية للوقوف في وجه أطماعه - رداً عقلياً يفند ادعاءاته وحججه التي تعلق بها في قدومه للبلاد الإسلامية موضحاً أن لا حجة له على الحقيقة تدعوه إلى القدوم والاعتداء على المسلمين وأن الأولى أن يعود من حيث أتى، فمن خلال أسلوب السبر والتقسيم حصر صلاح الدين دعاوي الملك الإنجليزي وفندها، ففيما يختص بالقدس بين - رحمه الله تعالى - مكانته لدى المسلمين بكونه مسرى النبي ﷺ ولن يوافق أي مسلم على التنازل عنه فلا مجال للخوض في أمره، وفيما يختص بالبلاد التي زحف عليها المسلمون بعد معركة حطين فهي في الأصل للمسلمين واستيلاء النصارى طارئ عليها لضعف من بها من المسلمين، فلا حق على ذلك لهم فيها، والصليب الذي يطالب به النصارى غنمه المسلمون منهم لما قدموا للبلاد الإسلامية محاربين للمسلمين، فكيف يفرط به المسلمون وهو بهذه المنزلة لدى النصارى الذين هم في الوقت نفسه معتدون عليهم؛ ولذلك فلا يكون التنازل عنه إلا لمصلحة ظاهرة للإسلام [1]، وهكذا بجانب المواجهة العسكرية التي يقودها صلاح الدين ضد الملك الإنجليزي تصدى لدعاويه وشبهه الفكرية التي

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٢/٥٠٠).

يتذرع بها في عدوانه على المسلمين فمن خلال هذا الأسلوب العقلي فندها جميعاً ولم يبق للملك الإنجليزي إلا أن يوقف عدوانه على المسلمين ويعود من حيث أتى [١].

ب – أسلوب قياس الأولى:

هو ما يكون معناه في الفرع زائداً على معنى الأصل [٢]، أو هو ما قطع فيه بنفي الفارق ويسمى القياس الجلي [٣]وهذا الأسلوب استخدمه العلماء المسلمون لدحض حجج النصارى وشبهاتهم التي أقاموا عليها اعتقاداتهم وبنوا عليها أصول ملتهم [٤]ومن الأمثلة على ذلك إبطال الخزرجي في نقاشه مع قسيس طليطلة لحجة النصارى في اتخاذ المسيح عليه السلام ابناً لله بدعوى ولادته من غير أب، حيث قرر الخزرجي أنه إذا كانت هذه هي العلة التي سوغت للنصارى أن يجعلوا المسيح ابناً لله سبحانه وتعالى فإنها متحققة في شأن آدم بشكل أكبر من المسيح، إذ إنه وجد من غير أب أو أم، فهو أولى بالألوهية من المسيح لهذه العلة [٥]، وبالأسلوب نفسه أبطل القرطبي هذه الحجة للنصارى على اتخاذ المسيح ابناً لله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - حيث قال: بل لو أمكن لأحد أن يقول: إن بشراً يتصور أن يكون إلهاً لكونه من غير أب لكان آدم أولى بذلك

(١) المصدر نفسه (٥٠٠/١).
(٢) البحر المحيط للزركشي (٣٦/٥).
(٣) شرح مختصر الروضة (٢٢٣/٣).
(٤) دعوة المسلمين للنصارى (٥٠١/٢).
(٥) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ١٣٠.

من حيث إنه لم تشتمل عليه أوصار[1] الرحم، فقد شارك المسيح في كونه من غير أب وزاد عليه أنه من غير أم[2]، ومن خلال هذا الأسلوب أيضاً طالب الخزرجي في نقاشه مع قسيس طليطلة النصارى بالإيمان بنبوّة محمد ﷺ للمعجزات الكثيرة التي جاء بها ﷺ دالة على صدقه - حيث عرض كثيراً منها - وذلك قياساً على إيمانهم ببعض الأنبياء وهم لم يكن لهم معجزات أو آيات تؤيدهم كداود وحزقيال وغيرهم [3]، فإذا كان إيمان النصارى بمثل هؤلاء الأنبياء لإخبارهم عن أنفسهم بالنبّوة، فحسب فإن من أخبر عن نفسه وجاء بالمعجزات المصدقة له من باب أولى، فمن خلال قياس الأولى بيّن الخزرجي أن النبي ﷺ اشترك هو وهؤلاء الأنبياء الذين يؤمن بهم النصارى بدعوى النبّوة وزاد عليهم بالآيات والمعجزات فوجب الإيمان بنبوّته ولزمكم أيها النصارى الإيمان بذلك أكثر من إيمانكم ببعض أنبيائكم اعتماداً على دعواهم النبّوة فقط وفي مناظرة للزاهدي مع أحد علماء النصارى وإثبات هذا النصراني للنبوات السابقة عن طريق التواتر وظهور المعجزات بين الزاهدي أن إثبات نبوّة محمد ﷺ على هذا الأساس أولى من غيرها من النبّوات السابقة، إذ التواتر في حقه ﷺ أولى بالقبول لأن عصره أقرب من عصر موسى وعيسى ومتى كان المخبر به أقرب زماناً كان الثقة به والاعتماد عليه أكثر وأقوى؛ لأن الوسائط في البعيد أكثر وطول العهد مُنسي. فانقطع النصراني وأسلم وحسن إسلامه [1].

(١) أوصار: جمع وِصْرٍ وهو السجل، والعهد: لسان العرب: مادة وَصَرَ وأصل الكلمة فارسي.
(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٣٦.
(٣) مقامع الصلبان ص ٢١٠ دعوة المسلمين للنصارى (٥٠١/١).
(١) دعوة المسلمين للنصارى (٥٠٣/٢).

ج – أسلوب القياس المساوي:

وهو ما يكون معناه في الفرع مساوياً لمعنى الأصل، ويسمى القياس الخفي [1]، والقياس المساوي من الأساليب التي استخدمها العلماء المسلمون كثيراً في مناقشاتهم وردودهم على النصارى في هذه الفترة، ففي مناقشة نصر بن يحي المتطبب لعقائد النصارى والتي منها زعمهم أن المسيح استحق اللاهوتية؛ لأن الله سماه ابناً، وأبطل نصر هذه الحجة بقياس حال الأنبياء الآخرين على حال عيسى حيث ورد في كتب النصارى تسمية بعضهم أبناءً لله كداود وإسرائيل وغيرهما؛ فلماذا لم تجعلوهم أيها النصارى بناءً على ذلك أبناء لله [2]، فإذا كانت علة الألوهية للمسيح تسميته ابناً لله فهؤلاء إذن أبناء لله على الحقيقة لأنه سماهم أبناء، وإلا فلتكن النبّوة للجميع على سبيل الرحمة وهكذا فلا سبيل للنصارى بناء على هذا القياس العقلي إلا صرف الألوهية عن المسيح واعتقاد نبوّته، أو إثبات الألوهية لغيره من الأنبياء، أو انقطاع حجتهم وتمسكهم بضلالهم على سبيل العناد والمكابرة [3]، ومن حجج النصارى على إثبات الألوهية للمسيح أيضاً أنه نفخة من روح الله في رحم مريم فذلك يدل على ألوهيته وقد أبطل هذه الحجة القرطبي من خلال أسلوب القياس المساوي، حيث قاس حال آدم عليه السلام على حال المسيح، إذ هو نفخة من روح الله في تربة من الأرض، فتربة بمنزلة لحمة، ونفخة بمثابة نفخة فبناءً على هذا القياس لا فرق بين الحالين في المسيح

(١) البحر المحيط (٣٦/٥) دعوة المسلمين للنصارى (٥٠٣/٢).
(٢) دعوة المسلمين للنصارى (٥٠٣/٢).
(٣) المصدر نفسه (٥٠٤/٢).

وآدم عليه السلام، فإثبات الألوهية للمسيح لكونه نفخة من روح الله في لحمة مريم يماثلها حال آدم لكونه نفخة من روح الله في تربة من الأرض، فإما إثبات الألوهية للاثنين لهذه العلة أو نفيهما عنهما. ومن شبه النصارى التي أثاروها حول رسالة النبّي ﷺ كونها ناسخة لما قبلها والنسخ بداء، والبداء على الله الذي هو عالم الغيب والشهادة محال وقد أبطل الزاهدي هذه الشبهة من خلال أسلوب القياس المساوي حيث طالبهم أن يقيسوا حال محمد ﷺ في ذلك بحال موسى وعيسى حيث جاءا ونسخا ما قبلهما ولم تعدوا ذلك أيها النصارى بداءاً [1].

د – قياس الخلق:

وهو: إثبات نقيض الحكم في غيره لافتراقهما في علة الحكم [2] وقيل: هو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه[3]ومن استخدامات هذا الأسلوب من قبل العلماء المسلمين في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى في هذه الفترة، رد القرطبي اعتراض النصارى على المسلمين في نسبة الهدى والضلال إلى الله حيث، بيّن القرطبي أن الهدى والضلال مخلوقات، وإذا أُنكر نسبتهما إلى الله تعين وجود خالق لهما مما يعني وجود خالقين وهذا محال، فلم يبق إلا أن يكون الفاعل هو الله إذ لا خالق إلا هو ولا مبدع سواه [1]، فأثبت القرطبي من خلال قياس الخلف المطلوب وهو نسبة الهدى والضلال إلى الله

(١) الرسالة الناصرية ص ٤٤ - ٤٥ البحر المحيط (٤٦/٥).
(٢) البحر المحيط (٤٦/٥) دعوة المسلمين للنصارى (٥٠٥/٢).
(٣) مناهج الجدل في القرآن الكريم د. زاهر الألمعي ص ٧٧.
(١) دعوة المسلمين للنصارى (٥٠٦/٢).

obeikandl.com

بإبطال النقيض وهو عدم نسبتهما إليه سبحانه، لاستحالة وجود خالق آخر محدث لهما [١].

ذ – أسلوب المحاكمات العقلية:

والمقصود طلب تحكيم العقل المجرد من الهوى في قضايا مسلم بها إظهاراً للحق وتقريراً له [٢]وقد استخدم هذا الأسلوب العلماء المسلمون كثيراً ومن ذلك: طلب نصر بن يحي المتطبب من النصارى تحكيم عقولهم في إثباتهم الألوهية للمسيح، إذ كيف يكون إله وهو المولود من امرأة بشرية قد نالته العلل والآفات وجرى ما عليه ما يجري على الآدميين من غذاء وتربية وصحة وسقم وأمن وخوف وتعلم وتعليم، فكيف تجتمع هذه النقائض مع مقام الألوهية، ثم قال:... فيجب على ذوي العقول أن يزجرهم عقلهم عن عبادة إله ولدته امرأة بشرية آدمية [٣]. وفي مناقشة الخزرجي لقسيس طليطلة وبعد عرضه جملة من الصفات البشرية للمسيح قال في نهايتها: وهذه كلها صفات إنسان مهين لا إله قوي متين [٤] وذلك لفتا منه لعقل هذا القسيس وتنبيهاً له ليحكم هو على نفسه ويقر أن المسيح عبد لله وأحد أنبيائه وليس له من خصائص الألوهية شيء ثم قال الخزرجي بعد ذلك:.. ومن جرى في المناظرة هذه المجرى ثم طرح الهوى فنظر بعين الإنصاف كان الحق له أبين من فلق الصبح

(١) المصدر نفسه (٥٠٦/٢).
(٢) النصيحة الإيمانية ص ٧٢.
(٣) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ٢٩٤.
(٤) دعوة المسلمين للنصارى (٥٠٧/٢).

[١]وفي مناقشة القرافي لعقائد النصارى بين عدم قبول العقل ألوهية مولود رضع وفُطِم ومرض وصلب وذلك استثارة لعقولهم في الحكم على هذه القضية حيث قال:".. فيا معشر النصارى كيف أتيتم بما تحيله العقول... وجعلتم ذا الملك والملكوت والعزة والجبروت خرج من رحم امرأة ووضع وفُطم وصُلب على صليب الصلبوت بعد أن وصل إليه من الذل والقتل ما لم يصل إلى أحد من المخلوقين" [٢].

س – أسلوب القلب:

وهو أن يبين القالب أن ما ذكره المستدل يدل عليه لا له، أو يدل عليه وله [٣]. ففي مناقشة الجعفري مثلاً لعقيدة الصلب لدى النصارى وبأسلوب القلب أثبت أن المصلوب غير المسيح وذلك من خلال قصة صلبه التي يسوقها النصارى في أناجيلهم إثباتاً لصلب المسيح، فمن خلال هذه القصة أثبت الجعفري أن المصلوب شخص آخر غير المسيح - كما هي عقيدة المسلمين - وذلك أن المصلوب حسب هذه القصة اشتكى العطش وطلب الماء وقال حين صلبه: إلهي إلهي، لم تركتني وخذلتني [٤]، فاستدل الجعفري بذلك على أن المصلوب غير المسيح من حيث إنه ثبت في الإنجيل أن المسيح كان يطوي أربعين يوماً لا يحتاج إلى الماء، فلِمَ لم يصبر هذه اللحظات مما يدل على أن المصلوب غيره، كذلك قوله: إلهي لِمَ تركتني: فيه تبرم من القضاء والقدر لا يليق بالصالحين فضلاً عن الأنبياء مما

(١) المصدر نفسه.
(٢) أدلة الوحدانية ص ٦٤.
(٣) البحر المحيط (٢٨٩/٥).
(٤) الكتاب المقدس، إنجيل متى الإصحاح (٤٦/٢٧).

obeikandi.com

يدل على أن المصلوب شخص آخر؛ إذ لا يمكن أن يصدر هذا القول من المسيح عليه السلام [١].

ش – أسلوب تناقض الخصوم:

هذا الأسلوب من أبرز الأساليب العقلية التي تهدم ما لدى الخصم من قناعات وتزعزع ثقته في اعتقاداته وما يؤمن به ويناقش فيه وقد استخدم العلماء المسلمون هذا الأسلوب كثيراً في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى إبرازاً لتهافت الديانة النصرانية وإثباتاً لتحريفها ومما أبرزه علماء هذه الفترة إظهار تناقض كتب النصارى حيث أسهبوا في ذلك إثباتاً لتحريفها وتأكيداً على عدم الاعتماد على شيء منها ومن ذلك مثلاً ما أورده الأنباري من نماذج منها كقولهم في إنجيل متى: إنه صلب ومعه لصان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وكانا يشتمانه ويتناولانه محركين رؤوسهما ويقولان له: سلم نفسك إن كنت ابن الله[٢]، وفي إنجيل لوقا: وكان أحد اللصين المصلوبين معه يسبه ويقول: إن كنت أنت المسيح فسلم نفسك وسلمنا [٣]. حيث علق الأنباري على ذلك بقوله: وهذا تناقض، فإن في إنجيل متى أن اللصين كانا يسبانه، وفي إنجيل لوقا إن أحدهما كان يسبه [٤] وأفرد الجعفري باباً في كتابه التخجيل لإبراز مواضع التحريف والتناقض في الإنجيل، حيث أورد نماذج في اثنين وخمسين موضعاً وقد قال في مقدمته: ".. ونبين بعون الله في هذا الباب من تناقض

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٣٤٩/١).
(٢) الكتاب المقدس، إنجيل متى الإصحاح (٣٩/٢٧ - ٤٣).
(٣) الكتاب المقدس، إنجيل لوقا، الإصحاح (٣٩/٢٣).
(٤) الداعي إلى الإسلام ص ٣٨٦.

إنجيل النصارى وتعارضه وتكاذبه وتهافته ومصادمة بعضه بعضاً ما يشهد معه - أى الكتاب - من وقف عليه أنه ليس هو الإنجيل الحق المنزل من عند الله [١]وفي رد الخزرجي على قسيس طليطلة أورد الكثير من تناقضات الإنجيل إظهاراً لعدم الاعتماد عليه وإبرازاً لتهافت حجج القسيس ومما أورده من ذلك قوله مخاطباً القسيس: وفي الإنجيل الذي بأيديكم عنه - أي المسيح - إنه قال: إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة وغيري يشهد لي [٢]. ثم في موضع آخر من الإنجيل أنه قال: إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب [٣]. وقد علق الخزرجي على ذلك قائلاً للقسيس:" أخبرني كيف تكون شهادته حقاً وباطلاً؟ ومقبولة وغير مقبولة؟ وكيف يجمع بين هذين في كتاب منسوب إلى الله تعالى؟! " [٤]، ومن الأمثلة على ذلك استخدام القرافي لهذا الأسلوب في مناقشته لبعض عقائد النصارى حيث أظهر جانباً من تناقضهم في أصل إيمانهم وهي الأمانة التي يعتقدونها، إذ فيها قولهم: ونؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا.. " يناقضه اعتقادهم أن خطيئة آدم عليه السلام عمت ذريته وما تخلصوا منها إلا بصلب المسيح وقتله، حيث بين القرافي أن ذلك ظاهر التناقض فإما أن تكون المعمودية توجب غفران الخطايا وحينئذ لا حاجة إلى الصلب أو يكون هو الذي أوجب الغفران وزالت به الخطيئة فلا حاجة إذن إلى المعمودية [١].

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢٨٣/١).
(٢) الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا الإصحاح (٣١/٥).
(٣) مقامع الصلبان ص ١٤٦.
(٤) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (٥١٣/٢).
(١) المصدر نفسه (٥١٤/٢).

ر – أسلوب المقارنة:

هو قرن النظر إلى قضيتين لإبراز وجوه التفاضل بينهما [١]وكان هذا الأسلوب من الأساليب العقلية المستخدمة من قبل العلماء المسلمين في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى في هذه الفترة ومن ذلك مثلاً: مقارنة القرطبي حفظ الله سبحانه وتعالى للقرآن وعناية الأمة به مقابل تبديل التوراة والإنجيل وتحريفهما واختلاطهما بالكذب والدجل والتزوير على الله سبحانه وتعالى وأنبيائه الكرام حيث عرض القرطبي نماذج من التحريف فيهما وعلق على ذلك بقوله:".. وكتابنا منزه عن أمثال تلك الآفات، فإن الله تولى حفظه، وأجزل من كل صيانة حظه، فصار بنظمه الذي لا يقدر الجن والإنس على آية منه، فلا يختلط به كلام متكلم، ولا يقبل وهم متوهم إذ ليس من جنس كلام البشر وهو معدود الآي والسور، ثم صانه بأنه يسَره للحفظ والاستظهار فيستوي في نقله الكبار والصغار [٢]، وبعد هذه المقارنة التي وضعها القرطبي أمام صاحب كتاب تثليث الوحدانية قال:" فأين اللؤلؤ من الخزف والياقوت من الصدف" [٣]وفي موضع آخر قارن القرطبي بين حال النبي ﷺ وشجاعته وصموده أمام قريش وتحمله الأذى وصبره على الشدائد في سبيل تبليغ الدعوة وبين حال المسيح - وهو إله بزعم النصارى - وأنه لما استشعر وثوب اليهود عليه قال:" قد جزعت نفسي الآن، فماذا أقول يا أبتاه؟ فسلمني من هذا الوقت، وأنه كذلك لما رفع على خشبة

(١) المصدر نفسه.

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٩٣ - ١٩٤.

(٣) المصدر نفسه ص ١٩٤.

الصلب صاح صياحاً عظيماً: إلهي إلهي لما أسلمتني وتركتني ؟"[1] وقد علق القرطبي على ذلك بقوله:" فتأمل إن كنت منصفاً فرق ما بين نبينا عليه السلام وبين ما يحكيه النصارى عن المسيح في إنجيلهم" [2]، ولا شك أن هاتين الصورتين - وعرضهما في وقت واحد - صورة النبيّ ﷺ وشجاعته وصبره وعدم جزعه وصورة المسيح - ابن الإله بزعم النصارى - وقد خار وجزع تدعو النصراني إلى التدبر والتفكير، كيف أن من يتصف بالألوهية يجزع ويضعف أمام أعدائه في مقابل من يدعي النبّوة كيف يصبر ويواجه أعداءه بشجاعة في سبيل تبليغ دعوته، فهذه الصورة الحسنة للنبي ﷺ في مقابل الصورة السيئة للمسيح - حسب اعتقاد النصارى - ربما توقظ في نفس النصراني، تساؤلات كثيرة تدعوه إلى إعادة النظر فيما هو عليه وربما تقوده إلى الإسلام.

ك – أسلوب الاستدلال بمسلمات الخصم:

وقد استخدم العلماء في هذه الفترة هذا الأسلوب في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى خاصة في نفي الألوهية عن المسيح والدلالة على نبّوة محمد ﷺ ومن ذلك مثلاً ما أورده المتطبب من نصوص الإنجيل الدالة على بشرية المسيح وعدم الألوهية التي يدعونها فيه ومنها قوله عن نفسه: من عند الله أُرسلت معلماً. وقوله لأصحابه: أخرجوا بنا من هذه المدينة، فإن النبيّ لا يلح[1] في مدينته وأقاربه، وأخبر الإنجيل كذلك أن امرأة رأت المسيح فقالت له: أنت

(١) المصدر نفسه ٣١٩ - ٣٢٠.

(٢) النصيحة الإيمانية ص ١٠٩.

(١) يلح: لاح يلح: ظهر يظهر، مادة لام المعجم الوجيز.

النبي الذي كنا ننتظر مجيئه؟ فقال لها المسيح: صدقت طوبى لك أيتها المرأة [١]، وقد علق المتطبب على بعض النصوص الكثيرة التي أوردها من الإنجيل مبيناً دلالتها على عبودية المسيح وأنه مربوب مبعوث من عند الله لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا بإذنه سبحانه وتعالى[٢]. ومما استدل به القرطبي على صحة نبوّة محمد ﷺ من كتب النصارى ما ساقه من البشارات به ﷺ ومن ذلك ما ورد في سفر التثنية وهو قول الله سبحانه: جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلى من جبال فاران ومعه جماعة من الصالحين[٣]. حيث شرح ذلك القرطبي مبيناً أن مجيئه من جبل سيناء أن الله أنزل فيه التوراة دلكم عليه موسى، وإشراقه من جبل ساعير أن دين المسيح إنما أشرق من جبال ساعير قرب القدس، واستعلاؤه من جبال فاران أن الله تعالى بعث فيها محمد ﷺ وأوحى إليه فيهما. واختلاف في أن فاران هي مكة، وقد قال في التوراة: إن الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران [٤]وقد علق القرطبي على ذلك بتوجيه الخطاب إلى صاحب تثليث الوحدانية وحثه على التفكير في إنصاف وتثبت، وقبول هذه البشائر الظاهرة بنبوة محمد ﷺ [٥]، ومن بشائر الإنجيل أيضاً بنبوةّ محمد ﷺ والتي أوردها القرطبي قول المسيح: إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وسأرغب إلى الأب في أن يبعث إليكم البرقليط ليكون معكم إلى الأبد [١]، حيث بين القرطبي معنى

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٥١٧/٢).
(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، الإصحاح (١/٣٣ - ٣).
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٥١٨/٢).
(٤) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٢٦٥.
(٥) الكتاب المقدس، إنجيل يوحنا، الإصحاح (١٥/١٤ - ١٨).
(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٢٦٨.

البرقليط وهو لفظة رومية معناها بالعربية محمد أو أحمد [١]، وأورد الجعفري أربعاً وثمانين بشارة في التوراة والإنجيل بنبوّة محمد ﷺ مبيناً وجه الاستدلال بكل منها وحاثاً النصارى على التصديق بها، ثم قال في نهايتها:.. فهذه أربع وثمانون بشارة عن الأنبياء وأتباع الأنبياء وقد تضمنتها كتب الله المنزلة من لدن إبراهيم الخليل إلى أتباع المسيح منوهةً باسم محمد ﷺ صريحاً واسم أرضه التي يخرج منها وبلده التي نشأ بها[٢]. ثم قال: وإنما نقلت قليلاً من كثير ويسيراً من خطير، ولو استوعبت ما في كتب الله من الإشادة بذكر المصطفى ﷺ وذكر أمته لأطلت وخرجت إلى حد الإسهاب [٣]. وهكذا كان لمجموع هذه الأساليب العقلية استخدامٌ واسعٌ مع هؤلاء النصارى الذين لا يؤمنون بالقرآن ولا ينفع معهم الأمر والنهي والترغيب والترهيب وظهر عمق أثرها عليهم [٤].

٢ – الأساليب العاطفية:

والمقصود بالأساليب العاطفية هي تلك الأساليب التي تعتمد في تأثيرها على مخاطبة العاطفة وإثارة المشاعر للحث على أمر ما أو المنع منه [١]، ولأهمية الأساليب العاطفية في الدعوة، فقد كانت من أبرز أساليب الرسل عليهم الصلاة والسلام في دعوة أقوامهم ومن ذلك مثلاً ترغيب الرسل لأقوامهم بالمغفرة حال الإيمان كقوله تعالى:{قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٧٢٢/٢).
(٢) المصدر نفسه (٧٢٢/٢).
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٥٢٠/٢).
(٤) المصدر نفسه (٥٢١/٢).
(١) المصدر نفسه.

لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾} [إبراهيم: ١٠].

ودعوة نوح عليه السلام لقومه من خلال ترغيبهم بالخير حال الاستجابة قال تعالى:{فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾} [نوح: ١٠ - ١٢]. وكانت الأساليب العاطفية من أبرز أساليب القرآن سواء في دعوة المشركين إلى الإيمان أو حث المؤمنين على الزيادة في الخير[1] وفي عصر الحروب الصليبية كانت بعض الأساليب العاطفية من ضمن الدعوة الموجهة إلى النصارى ومن تلك الأساليب:

أ – أسلوب الترهيب:

ومن ذلك مثلاً ما كان يتخلل به القرطبي نقاشه وردوده على القسيس صاحب كتاب تثليث الوحدانية من تخويف له بالنهاية السيئة إذا مات على معتقده وترهيبه باليوم الآخر وعند الوقوف للحساب، وذلك كقوله للقسيس بعد تفنيد بعض ما أورده في كتابه من عقائد كفرية:.. وإذا انتهى إنسان إلى هذه المخازي فقد كفر بموسى، وبإله موسى - نعوذ بالله من أنظار تقود في الدنيا إلى الفضيحة والعار وفي الآخرة إلى الخلود في عذاب النار [1] وفي موضع آخر وبعد مطالبته القسيس الاستعداد للحساب وذلك بالتوبة عن تأليه عيسى

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٥٢٢/٢).
(١) المصدر نفسه (٥٢٤/٢).

واعتقاد نبوّته، خوّفه بعاقبة إصراره على اعتقاده في ذلك اليوم: فكأني والله بك إن مت على ما أنت عليه يؤخذ بناصيتك وقدمك، وتحيط بك ملائكة ربك{مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}[التحريم: ٦] فتنادى فتقول: يا عيسى، يا سيدي، يا إلهي يا ولد الله، فيقول لك: كذبت ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، ولست بإله، ولم أقل لك كذلك.. فكيف ترى خجلتك بين يديه.. فذلك المقام لا ينفعك فيه ملك مقرب ولا نبي مُرسل إلا مما قدمت يداك من حسن إيمان وصالح عمل،.. فإن الملائكة والنبيين لا يشفعون إلا لمن ارتضى رب العالمين، فالله الله. انظر في خلاص نفسك لتجني ثمار غرسك(١).

ب – أسلوب الاستهزاء والتهكم:

في الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى في عصر الحروب الصليبية كثر استخدام هذا الأسلوب من قبل بعض العلماء وربما كان من أسباب ذلك ما صدر من بعض النصارى ورجال دينهم من كلمات فيها شيء من السخرية والتهكم سواء في كتاباتهم أو مناقشاتهم أو مناظراتهم مع المسلمين وذلك تجاه الإسلام ورسوله ﷺ كتداول رسالة ابن غرسيه في الأندلس، والقصيدة التي قيلت على لسان ملك الروم في سب الإسلام ورسوله ﷺ وتداولها في هذه الفترة في الأندلس، وعبارات الحقد والسب والاستهزاء في كتابات بعض مؤرخيهم ورجال دينهم كفوشيه شارتر، وإشارة أحد القساوسة في رسالته لأبي عبيدة الخزرجي إلى كثرة مؤلفات النصارى التي تطعن

(١) الإعلام بما في دين النصارى والأوهام ص ١٢٣.

بالإسلام ورسوله ﷺ وتستخف بهما، ومن مظاهر استخدام هذا الأسلوب من قِبل بعض العلماء المسلمين في هذه الفترة تجاه النصارى ما جاء في ثنايا مناقشة نصر بن يحي المتطبب لبعض عقائد النصارى من عبارات الاستهزاء بعقولهم والاستخفاف بحججهم وطريقة استدلالهم كقولهم: ليس لاعتقادهم أصل يعول عليه، ولا برهان يستند إليه، قد اقتدوا بقوم لا يعقلون واغتروا بجهال لا يفقهون [1]. وقوله:".. لكني أقول: لا إله إلا الله تعجباً منكم يا ذوي العقول الضعيفة كيف تعتقدون الألوهية في إنسان لا يقدر على تخليص نفسه من الأعداء.. فأين قدرته أيها الغافلون؟ وأين تمكنه أيها المبطلون؟ بئس والله ما تعتقدون، إنما أنتم في طغيانكم تعمهون حدتم عن الرشاد، وسلكتم طريق العناد، وكفرتم بالرحمن واتبعتم سنن الشيطان".[2]ومن مظاهر استخدام هذا الأسلوب لدى القرافي في مناقشته لبعض عقائدهم قوله:".. فأي ضرورة تدعوكم إلى إثبات أنواع الإهانة والعذاب في حق رب الأرباب على زعمكم أيها الدواب الذي يفضي من ضعف عقولهم العجب العجاب" [3] وفي رد الخزرجي على قسيس طليطلة كان في قوله في صدر رسالته إليه:" أما بعد أيها الأعجمي الألكن، الطاعن على كتاب الله جهلاً، ولا يُعرف لخطابه فصلاً، والملتمس له تأويلاً، وأنت لم تؤت من العلم كثيراً ولا قليلاً "[1].

(١) النصيحة الإيمانية ص ٥٢.

(٢) دعوة المسلمين للنصارى (٥٢٨/٢).

(٣) الأجوبة الفاخرة ص ٥٨.

(١) مقامع هامات الصلبان ص ١٢٧.

واشتد القرطبي في استهزائه وتهكمه في بعض حجج ألوهية المسيح لدى النصارى بقوله:" وعلى الجملة فهؤلاء القوم أغبياء جاهلون، وعن التوفيق معزولون، فهم عن المعقولات معرضون وبها مستهزئون، لا يستحيون من خالقهم، ولا يتأدبون مع مالكهم ورازقهم، فسبحان الله عما يقول الجاهلون" [1]ولا شك أن استعمال أسلوب التهكم والاستهزاء في السخرية من قِبل بعض العلماء المسلمين في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى قد يجدي في لفت أنظار البعض منهم إلى ضلال ما هم عليه، وأن ما يقوم عليه اعتقادهم وأساس ديانتهم حقاً محل السخرية والتهكم، فربما يكون ذلك دافعاً لتنفيرهم منه وبحثهم عن الحق ومن ثم قبوله [2].

ج – أسلوب اللين والتلطف بالخطاب:

كان من أبرز أساليب النبي ﷺ في دعوته بشكل عام اللين والرفق والتلطف بالخطاب؛ فتح الله عز وجل به قلوباً غُلفاً وآذاناً صماً، قال تعالى:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ} [آل عمران: ١٥٩] وقال ﷺ :«**ن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف**» [1]. وقال:«**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه**» [2]وعندما أرسل الله سبحانه وتعالى موسى وأخاه هارون إلى فرعون قال لهما جلّ وعلا:{فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا} [طه: ٤٤].

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٥٢٩/٢).
(٢) دعوة المسلمين للنصارى (٥٣٠/٢).
(١) مسلم رقم ٢٥٩٣.
(٢) مسلم رقم ٢٥٩٤.

ولم تخل الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى في فترة الحروب الصليبية من استخدام هذا الأسلوب وإن كان ذلك بشكل أقل من الأساليب الأخرى ومثال على ذلك؛ رسالة العزاء من صلاح الدين إلى بولدوين الخامس بعد وفاة والده في بيت المقدس وفي مطلع الرسالة:".. خص الله الملك المعظم حافظ بيت المقدس بالجد الصاعد، والسعد الساعد، والحظ الزائد، والتوفيق الوارد" [1]وكان أيضاً يتخلل بعض ردود العلماء، ومناقشاتهم مع النصارى في هذه الفترة شيء من اللين والرفق والتلطف في الخطاب، ومن ذلك مثلاً: الدعاء لهم بالهداية، كقول الخزرجي في نقاشه مع قسيس طليطلة:".. ونحن نسأل الله سبحانه أن يكشف ما بكم من بشع الضلالة ويتلقاكم بالهداية، فهو فعال لما يريد" [2]، وقول القرطبي في رده على كتاب تثليث الوحدانية:".. فالله يعلم أني أنظر إليك وإلى كافة خلق الله بعين الرحمة، وأسأله هداية من ضّل من هذه الأمة، وأتأسف على الأباطيل التي ينتحلون، فإنا لله وإنا إليه راجعون" [3]، وفي موضع آخر وبلين عبارة خاطب القرطبي صاحب كتاب التثليث حاضَّاً له على اعتقاده بنّوة المسيح عليه السلام بقوله:".. فما أجل بكم ألو قلتم فيها الحق الذي ينبغي لهما: إن الله جعل عيسى وأمه آية للناس، هو عبدٌ ورسول ٌوأمه صِدِّيقه مباركة[1].

س – أسلوب القسم:

(١) صبح الأعشى (١١٥/٧ - ١١٦) دعوة المسلمين (٥٣٢/٢).
(٢) مقامع الصلبان ص ٢٩٤ دعوة المسلمين (٥٣٢/٢).
(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٠١.
(١) المصدر نفسه ص ١٣٧.

وقد ورد استعمال هذا الأسلوب كثيراً في القرآن الكريم، فأقسم الله سبحانه وتعالى بنفسه وآياته وببعض مخلوقاته والقسم في كلام الله يزيل الشكوك ويحبط الشبهات ويقيم الحجة، ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم في أكمل صورة [١].

وما أكثر الأحاديث التي كان يبدؤها النبي ﷺ :«**والذي نفسي بيده**»[٢]، وقد استخدم هذا الأسلوب في فترة الحروب الصليبية ومن ذلك قول الخزرجي في نقاشه مع قسيس طليطلة بعد حديثه عن تحريف الإنجيل:".. حتى أني أحلف بالذي لا إله إلا هو أن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلاً من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينبني عليه شيء من أمر الدين" [٣] وبعد حض القرطبي صاحب كتاب تثليث الوحدانية على نبذ ما يعتقده في عيسى عليه السلام أقسم بالله على سوء عاقبته إن مات على هذه النهاية وذلك بقوله:.. فكأني والله بك إن مت على ما أنت عليه يؤخذ بناصيتك وقدمك وتحيط بك ملائكة ربك وملائكة:{لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦].

٣ – الأساليب الفنية:

هي تلك الأساليب المتعلقة بجمال التعبير وتحسينه من الناحية اللفظية ليكون أكثر تأثيراً في السامع [١]وفي عصر الحروب الصليبية كان كتاب الله عز وجل هدفاً لمطاعن النصارى وشبههم

(١) المصدر نفسه ص ١٣٧.
(٢) دعوة المسلمين للنصارى (٥٣٤/٢).
(٣) المصدر نفسه (٥٣٤/٢).
(١) المصدر نفسه (٥٣٤/٢).

والتي كان من ضمنها الطعن في بلاغته وفصاحته لذلك اعتنى العلماء المسلمون عناية كبيرة في التصدي لذلك في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى [1]، وقد تمثل ذلك من خلال إبرازهم لفصاحة القرآن وبلاغته وعجز العرب عن معارضته أو من خلال استعمالهم لبعض الأساليب الفنية التي تظهر جوانب من فصاحة العربية وبلاغتها وجمالها وقوة تأثيرها مع عدم التوسع فيها كثيراً بجانب الأساليب الأخرى؛ لنظرتهم إلى أن غالبية النصارى- وهم من العجم- أقل وأحقر من أن يتحدث عن بلاغة القرآن وفصاحته بعد ما عجز عنها العرب الأوائل وهم أرباب البيان والفصاحة، ولذلك قال الخزرجي حينما بين إقرار العرب الأوائل بفصاحة القرآن وبلاغته: فكيف يلتفت إلى مقال العجم الجهلاء [2]، وفي مقدمة رسالته في الرد على قسيس طليطلة قال: أيها الأعجمي الألكن الطاعن في كتاب الله جهلاً[3]. وذلك إشارة إلى قصوره لعجميته عن فهم بلاغة القرآن وفصاحته [1]، ومن الأساليب الفنية التي استخدمت:

أ – أسلوب ضرب الأمثال:

وضرب الأمثال من الأساليب التي استخدمها العلماء المسلمون في مناقشاتهم وكتاباتهم ومناظراتهم مع النصارى في عصر الحروب الصليبية، فمن الأمثال السائرة التي استخدمها القرطبي في رده على

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٥٣٧/٢).
(٢) مقامع الصلبان ص ١٩٧.
(٣) المصدر نفسه ص ١٢٧.
(١) دعوة المسلمين للنصارى (٥٣٧/٢).

القسيس قوله: لا يستوي الظل والعود أعوج [1]، وذلك بعدما عرض مذاهب النصارى واختلافهم في تفسير الأقانيم، ومحاولة كل فرقة إصلاح خلل الأخرى في ذلك وقصد القرطبي في هذا المثال أنه مهما حاولوا تقويم الخلل في تفسيراتهم لهذه العقيدة الباطلة فلن تستقيم كحال الذي يريد إقامة ظل لعود أعوج، فلن، يستقيم الظل ما دام العود على اعوجاجه وهذه حال تفسيراتهم لن تستقيم ويصح الخلل ما دام أصل العقيدة باطل وفي موضع آخر وبعد رده على النصراني ومناقشته لما طرحه من تفسير لعقيدة الاتحاد وإبطال هذه التفسيرات التي جاء بها ختم ذلك بإيراد هذا المثل وهو قوله: فإن الفتق اتسع على الراقع [2]، ففي هذا المثل قصد القرطبي أنه مهما جئت أيها النصراني بتفسير لهذه العقيدة الباطلة - عقيدة الاتحاد تفسير يقبله العقل فلن تفلح، فكلما أجبت على سؤال ثارت عليك أسئلة كمن يريد أن يرفع ثوباً اتسع فتقه ومن استخدام الأمثلة السائرة لدى القرافي أنه بعد وصفه لرجال الدين النصارى بالجهل الشديد وعدم تفريقهم بين الحلال والحرام وغفلتهم وبلاهتهم التي حجبت عنهم عقل الحق والأخذ به ختم بقوله: حتى أن أحدهم لا يفرق بين كوعه من بوعه [1].

ب – أسلوب القصة:

وفي عصر الحروب الصليبية استخدم كثير من العلماء أسلوب القصة في جهودهم الدعوية الموجهة إلى النصارى لكونها من أنسب

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٨٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٩٢.

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٦ ، والبُوع: عظْم يلى إبهام الرِّجل: مادة باعَ: المعجم الوجيز .

الأساليب مع النصارى لكشف باطلهم وبيان ما في كتبهم من تحريف وتبديل، وإظهار مواقفهم من أنبيائهم ومن هذه القصص ما قام به الخزرجي في رده على قسيس طليطلة في قوله: إنه لا ينكر صلبه - أي عيسى إلا كافر [١]، عرض قصة الصلب كاملة حسب رواية النصارى مستنبطاً منها الأدلة على وقوع الصلب على الشبه وليس على عيسى كما يدعيه النصارى [٢]وعرض القرطبي قصة قسطنطين ومجمعه الذي ابتدعت فيه كثير من شرائع النصارى الباطلة ومنها الصلب وذلك دليلاً على عدم اعتمادهم على شيء في هذه العقائد وأنها من وضع ضُلاّلهم وليس من أصل ديانتهم الصحيحة [٣]، وحينما عرّض القسيس للقرطبي في هاجر أم إسماعيل عليه السلام وفي معرض الرد عليه ساق القرطبي قصة هاجر مع سارة من التوراة كاملة لبيان افتراء هذا القسيس[٤] وفي معرض إثبات القرطبي لنبوَّة عيسى عليه السلام سرد قصة بولس اليهودي وأثره في تحريف النصرانية والقول بألوهية المسيح ثم أثر قسطنطين بعد ذلك [١]، ثم عقب بقوله:... ولتعلم أن هذه الأخبار التي ذكرناها لا يمكنهم إنكار جملتها وإن أنكروا بعض تفاصيلها لكون هذه القصص معروفة على الجملة عندهم، فإنهم لا يقدرون على جحد محاربة بولس اليهودي وإجلائهم من الشام ودخول بولس في

(١) مقامع الصلبان ص ١٥٨.
(٢) المصدر نفسه ص ١٥٨ - ١٦٨ دعوة المسلمين (٥٤٥/٢).
(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ١٦٩ - ١٧٢.
(٤) المصدر نفسه ص ٢٣٠ - ٢٣٢.
(١) المصدر نفسه ص ٢٤١ - ٢٤٦ دعوة المسلمين للنصارى (٥٤٦/٢).

دينهم، وكذلك ملك قسطنطين مما لا ينكرون إشهاره لكتبهم [١] وساق القرافي أيضاً قصتي بولس وقسطنطين في معرض بيان أثرهما في تحريف النصرانية وإضلال النصارى[٢]. ثم عقب على ذلك بقوله: وكفى بهذه الثلمة في دين النصارى خللا عظيماً لم تترك لهم عقلاً مستقيماً ولا قلبا سليماً [٣]. ونوع آخر من القصص ورد الاستشهاد به كثيراً في مناقشات العلماء المسلمين وردودهم على النصارى في هذه الفترة وهي القصص التي تتعلق بالتاريخ الإسلامي وحياة النبي ومناقبه، ومن ذلك مثلاً قصة كفالة جده ثم عمه، ورضاعه من حليمة، والبركة التي حلت عليها بسبب ذلك، وقصة رحلته إلى الشام ولقائه [٤] ببحيرا الراهب وشهادته له بالنبوة، ثم سرد القرطبي الكثير من القصص أيضاً حول معجزات النبي ﷺ وذلك في سياق الحديث عن دلائل نبوّته، ومن ذلك مثلاً: قصة نبع الماء من بين أصابعه في إحدى غزواته، وتكثير الطعام في غزوة الخندق وغيرهما، وقصص أخرى كثيرة أبرز فيها القرطبي حماية الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ كرد المشركين عنه ليلة الهجرة وخبر سراقة وغير ذلك. وهكذا إيراد القصة في الجهود الدعوية الموجهة إلى النصارى بالإضافة إلى كونه يزيد من جمال التعبير ويضفي عليه شيئاً من التشويق، فإن له أثره في التمهيد لقبول المحتوى لدى السامع وإيصال المعنى المراد له من خلال استغلال ذلك [١].

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد للنصارى (٥٤٦/٢).
(٢) الأجوبة الفاخرة ص ١١٩ - ١٢٤.
(٣) المصدر السابق ص ١٢٤.
(٤) البداية والنهاية (٢٦٣/٢) دعوة المسلمين للنصارى (٥٤٦/٢).
(١) دعوة المسلمين للنصارى (٥٤٨/٢).

ج – أسلوب التكرار:

ومن الأساليب الفنية أسلوب التكرار والذي قد يكون تكراراً لكلمة بعينها، أو لمعنى، أو لعبارة أو لفكرة، أو لموضوع ويكون التكرار عيباً لموضوع إذا كان عارياً عن الفائدة ولا يكون له معنى بلاغياً إلا إذا كان الهدف معيناً كأن يكون القصد منه التأكيد، أو المبالغة أو الإيضاح، أو بيان الأهمية، أو إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة إلى غير ذلك [1]والتكرار من الأساليب التي استخدمها العلماء المسلمون في كتاباتهم ومناقشاتهم مع النصارى في فترة الحروب الصليبية، فمن ذلك مثلاً: تكرار نصر بن يحي المتطبب الإشارة إلى تحريف الأناجيل حيث فصل في الموضع الأول وذلك في سياق ذكره لواضعي الأناجيل الأربعة حيث ذكر شواهد على الاختلافات فيما بينها، ثم اختصر ذلك في موضع آخر وذلك في سياق ذكره لتاريخ كتابة الأناجيل والتي كانت كثيرة جداً، فاختصرت إلى أربعة منها في المجمع الذي دعا إليه الملك الروماني قسطنطين حيث تساءل نصر بن يحي: ما حال عشرات الأناجيل المستبعدة؟ وعلى أي أساس تم انتقاء هذه الأربعة فقط[1]؟ حيث يظهر الوجه البلاغي للتكرار في الموضعين إلى اختلاف الهدف من إيرادها، ففي الموضع الأول إبراز التناقض بين الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى، وفي الموضع الثاني الطعن في أصل الأناجيل بشكل عام وطريقة اعتمادها لدى النصارى وعلى أي أساس كان اختيارها؟ ولم يكن في غيرها من عشرات، الأناجيل الأخرى المستبعدة ما هو

(١) الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان ص ١٦٣ - ١٧٠

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٥٤٩/٢).

أفضل منها [1]؟ وكذلك كرر الخزرجي الإشارة إلى حفظ القرآن وعدم تحريفه، فمن ذلك مثلاً ذكره لذلك مجملاً في سياق المقارنة مع تحريف كتب النصارى [2]ثم تفصيل ذلك في سياق الحديث عن إعجاز القرآن وكونه من أدلة صدق رسالة النبي ﷺ والإسهاب في عرض وجوه إعجازه وضبطه [3].

س: أسلوب الاستفهام:

والاستفهام هو طلب بشيء لم يكن معلوماً من قبل، بأدوات خاصة، وهو من أنواع الإنشاء الطلبي [4]وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي إلى معان تفهم من السياق كالنفي والنهي والتقرير والأمر، والإنكار والتشويق والتعجب والوعيد إلى غير ذلك [1]، وهذه المعاني تضفي على التعبير جمالاً وتزيد من تأثيره في السامع، ففي مناقشة نصر بن يحي المتطبب لعقيدة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت التي يدعيها النصارى في المسيح وأن الناسوت حين الصلب مات واللاهوت لم يمت تساءل نصر بن يحي على سبيل الإنكار قائلاً: فكيف يكون ميتاً لم يمت في حال واحد؟! [2]، فالمتطبب لم يلق هذا السؤال طالباً الإجابة عليه، وإنما للإنكار على النصارى الذين أدى بهم اعتقاد الاتحاد إلى هذه النتيجة التي لا يقبلها

(١) المصدر نفسه (٥٥٠/٢).
(٢) المصدر نفسه (٥٥٠/٢).
(٣) مقامع الصلبان ص ٣٢٣.
(٤) جواهر البلاغة ص ٧٠ دعوة المسلمين للنصارى (٥٥١/٢).
(١) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنشور ص ١١٤ - ١١٨.
(٢) النصيحة الإيمانية ص ٦٢.

العقل، فهذا السؤال يثبِّتُ فساد نتيجة هذا الاعتقاد عليهم مما قد يؤدي بالعقلاء منهم إلى الإقرار بفساده والإقلاع عنه.

وبعد بيانه لبعض تناقضات النصارى في تفسير الاتحاد وجه هذا السؤال لهم على سبيل الإنكار لمجمل اعتقادهم في المسيح عليه السلام وذلك بقوله: فكيف يصح لذي عقل عبادة المولود من امرأة بشرية قد مات ونالته العلل والآفات [1]؟ وهكذا في مواضع أخرى بعد مناقشة المتطبب لبعض عقائد النصارى يلقي عليهم أسئلة على سبيل الإنكار لباطلهم [2].

ش – أسلوب التعجب:

وهو دهشة المتحدث واستغرابه في أمر ليس له تفسير في نفسه أو أن تفسيره غير متوقع لديه [3]وبعد إيراد الجعفري لبعض تناقض الإنجيل قال: فانظر رحمك الله ما أفسد هذا الكلام وأقربه من كلام المجانين[1]وفي السياق نفسه وفي موضع آخر قال: فانظر - رحمك الله - ما أقبل عقول هؤلاء القوم إلى الترهات التي تمجها الأسماع وتأباها الطباع [2]، وفي موضع آخر من السياق نفسه قال: ما أقبح هذا التكاذب وأوضح هذا التناقض [3]. وهكذا في مواضع كثيرة وبعد تفنيد القرطبي لعقيدة الفداء لدى النصارى، وتهافت أدلتهم عليها ختم

(١) المصدر نفسه ص ٧٢ دعوة المسلمين للنصارى (٥٥٣/٢).
(٢) دعوة المسلمين للنصارى (٥٥٣/٢).
(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٥٥٤/٢).
(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢٩١/١).
(٢) المصدر نفسه (٢٩٨/١).
(٣) المصدر نفسه (٣١١/١).

ذلك بقوله متعجباً من عقولهم الضعيفة التي قبلت مثل ذلك [1]... قاتلكم الله ما أسخف عقولكم [2].

ر – أسلوب استخدام الشعر في تأدية بعض المعاني:

وفي عصر الحروب الصليبية لم تخل ردود العلماء ومناقشاتهم مع النصارى من استخدام الشعر، فمن الأمثلة على ذلك قصيدة البوصيري في الرد على النصارى واليهود والتي مطلعها:

جاء المسيح من الإله رسولاً ::: فأبى أقل العالمين عقولا

حيث ناقش فيها الكثير من عقائدهم وانتقدها مبيناً بطلانها وعدم اعتمادهم على دليل فيها [3]، ومن هذا القبيل أرجوزه لأبي طالب عبد الجبار المرواني تعرض فيها لبطلان ما عليه النصارى ومنها:

وصانع العالم فرد صمد ::: والصنع لم يشركه فيه أحد

إلى أن قال:

وللنصارى القول في التثليث ::: أفْظِعْ به من مذهب خبيث [1]

ومن ذلك مثلاً ما أورده القرطبي في مقدمة رده على صاحب الكتاب وتناقضاته وأنه بكتابته فضح نفسه حيث استشهد على ذلك بهذا البيت:

وإن لسان المرء مالم تكن له ::: حصاة على عوراته لدليل[2]

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٥٥٥/٢).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤١٨.

(٣) دعوة المسلمين للنصارى (٥٦٠/٢).

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (٩٢٤/١ - ٩٢٥).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص ٤٤.

فالقرطبي بهذا البيت عبر باختصار بليغ كيف فضح هذا النصراني لسانه ودل على جهله وركاكة أسلوبه وفي موضع آخر حينما حاول هذا النصراني إظهار فصاحته بجمل ساقها رد عليه القرطبي بقول الشاعر:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ::: واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[1]

وذلك كناية عن قصوره وعجزه وعدم أهليته لهذا الأمر وحينما استدل النصراني ببعض الآيات القرآنية على بعض باطله مؤولاً معناها الصحيح كان من إجابة القرطبي قول الشاعر:

ألق السلاح فلست من أكفائنا ::: واقعد مكانك في الخفيض الأسفل[2]

وذلك كناية على أن المسلمين هم أهل المعرفة بالقرآن وعلومه وتفسيره وليس هذا لك أيها النصراني ولا شك أن معنى هذا البيت أغنى القرطبي عن مقال طويل في بيان أحقية المسلمين وقدرتهم على تفسير القرآن ومعرفة علومه وعجز أمثال هذا النصراني عن ذلك[1].

وفي موضع آخر وفي مناقشة تناقض أمانة النصارى وقولهم فيها:

إن المسيح الذي صلب سيعود لفصل القضاء بين الأحياء والأموات رد الجعفري على ذلك بقول الشاعر:

---

(١) البيت للحُطَيْئَة.

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٦.

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٥٦٣/٢).

لألفينـــك بعـــد المـــوت تنـــديني ::: وفي حيـــاتي مـــا زودتـــني زادني [1]

وقصد الجعفري بهذا البيت بيان عجز المسيح عن خلاص نفسه من القتل والصلب بزعم النصارى، فكيف يقدر على خلاصهم بجملتهم وهذا المعنى لا شك يستغرق صفحات لو أراد الجعفري التفصيل في شرحه وهكذا في مواضع كثيرة استغنى الجعفري بأبيات شعرية تؤدي المعنى الذي يقصده دون إسهاب في تفصيل ذلك المعنى نثراً [2]وكان القرافي في كتابه الأجوبة الفاخرة يستشهد أيضاً ببعض الأبيات الشعرية اختصاراً بها عن تفصيل ما يريد بيانه نثراً قد يستغرق صفحات منه في بعض النقاط [3].

* * *

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢٩٧/١).
(٢) دعوة المسلمين للنصارى (٥٦٣/٢).
(٣) الأجوبة الفاخرة ص ٣٣، ٧٤، ٩٧.

obeikandl.com